



التحليل النفسى لشخصية بشار الأسد

دراسة نفسية - سياسية على ضوء تسرياته مع «لونا الشبل»

تنويه مهني

هذا التحليل لا يُعد تشخيصاً طبياً أو نفسياً إكلينيكياً، بل هو قراءة تحليلية نفسية - سياسية مبنية على السلوكيات العلنية، الخطابات، والتسريبات المتداولة، وفق مناهج التحليل النفسى للشخصيات العامة.



● حين ظهر بشار الأسد فى لقطات مع مستشارته الإعلامية «لونا الشبل» وهو يقود السيارة بنفسه متجولاً فى الغوطة فى ريف سوريا بعد أن دمرها تماماً بسلاح الطيران وبراميل المتفجرات والأسلحة الكيماوية، وذلك بسبب تمركز المعارضة السورية فى هذه المنطقة وإزعاجها لنظامه. وقد ظهر بشار على طبيعته ونزع قناع السلطة الدكتاتورية الصارمة، وتحدث إلي «لونا» بشكل حميمى تلقائى لم يظهر به أبداً فى لقاءاته أو خطابه الرسمية، وكانت هى

جماعات راديكالية، وحين صافحه الضباط والجنود على الكمين وقبلوا يده فى مذلة، كان يحييهم ويدعو لهم «الله يعطيكوا العافية» وحين تجاوزهم وأغلق نافذة السيارة راح يسخر منهم ومن غبائهم، ويعلن فى غطرسة «كل شخص شريف فى هذا البلد يحلم أن يصافحنى»، وراح يسخر من قياداته ويتهم عليهم، ويسخر من نفخ وجه حاميه والمسيطر عليه سياسياً وعسكرياً «بوتين»، ويسخر من حزب الله الذى أنقذه من السقوط أمام الغضب الشعبى، وحين سألته عن شعوره وهو يرى صورته منتشرة فى كل مكان قال «عيني لا تراها وعقلي لا يدركها»، وحين سألته عن شعوره وهو يرى سوريا على هذا الحال قال: «إنه يشعر بالقرص من هذا البلد»، وكان يفعل كل ذلك بينما هو يضحك بشكل مبالغ فيه.

وكان هذا الحوار المسرب فرصة هامة جداً لرؤية الوجه الحقيقى لبشار ومعرفة جوانب خفية فى شخصيته كان يغطيها بقناع السلطة وغطرسة الدكتاتور، بما يسمح بإعادة قراءة جوانب أخرى فى الشخصية منذ ظهوره على السطح خلفاً لوالده حافظ الأسد.

أولاً: الخلفية النفسية التكوينية

نشأ بشار داخل عائلة سلطوية مغلقة، وكأى أبناء رئيس، لم يكن أمامه الفرصة

تتحدث إليه وكأنها تتحدث إلى طفل غير ناضج وتشجعه على التعبير عن نفسه الداخلية التى تخفى خلف قناعات ودفاعات نفسية كثيرة سوف نشرحها فيما بعد. وفى هذا اللقاء تجاوز كل الخطوط المتوقعة من رجل حكم سوريا بالحديد والنار على مدى ربع قرن وورث الحكم عن أبيه الذى حكمها أيضاً ربع قرن، وكانت الكلفة مرفوعة بينه وبين «لونا» فيما يتجاوز العلاقة المهنية إلى علاقة مليئة بالحميمية قد توحى برنين وجدانى عاطفى عميق بينهما وما خفى ربما كان أعظم.

● وحين سألته ليقول كلمة وهو خارج من الغوطة التى بدت مدمرة تماماً إلى حد الخراب، رد قائلاً: «الله يلعن أبوالغوطة»، وحين سألته عن دبابه كانت فى الطريق، إلى أى جيش أو قوة مسلحة تنتمى هذه الدبابه لم يكن يعرف الإجابة، فسوريا مخترقه إيرانيا وروسيا ومن حزب الله ومن

حكم سوريا بالحديد والنار على مدى ربع قرن
وورث الحكم عن أبيه الذى حكمها أيضاً ربع قرن



د. محمد المهدي

أستاذ الطب النفسي

للانكسار، وهو قد وقع في إدمان السلطة كأى دكتاتور مستبد، وذاق حلاوتها بعد أن كان رافضاً لها أو عازفاً عنها، والأن عشقها وتوحد معها كطفل أعجبت له لعبة فصار متمسكا بها مهما حدث. ولم يكن جذاباً كرجل وكانت هذه نقطة ضعف فيه، بل هو ممل لأي فتاة أو امرأة، ولذلك كانت هذه نقطة ضعف جعلت نساءً عديدات يتقربن منه ويوهمنه بالوسامة والقوة والسيطرة والجادبية لكي يصلن إلى مرادهن، وكانت أبرزهن وأهمهن «لونا الشبل» التي دخلت عليه كمستشارة إعلامية وطنية تركت عملها في أهم قناة عربية (الجزيرة)، وجاءت لتتقده إعلامياً وهو في أحلك لحظاته عند قيام الثورة ضده في ٢٠١١، وشكلت بالنسبة له العقل الذي ينقصه والخبرة التي يحتاجها، فكانت هي التي تختار له كل شيء وتبنيه إلى كل شيء، وأصبحت أما مربية في صورة عشيقته، أو عشيقته وأما معا، وأطمأن هو في كنفها، وأصبح قادراً على أن يبوح لها بذاته الحقيقية دون قلق، ويعرض لها نقاط ضعفه بعيداً عن قناع القوة والسيطرة والحكمة الذي كان يلبسه بمجرد أن يظهر للناس في العلن.

٣- سمات انطوائية: تمثلت في عزلة عن الواقع، وإنكار له، والعيش في عالم شديد الذاتية والخصوصية، وتقلص انفعالي، وخجل وانطواء، وسخرية من المآسى والخراب الذي حل بسوريا، وانفصال بين ما يقوله وما يفعله، ومحاولة مضنية لسد الفجوة بين الذات المثالية والذات القيادية المستحدثة، وكانت ملامحه الطفولية تفضح ذاته الطفلية الهشة فيحاول أن يكون قاسياً وعنيفاً وعنيداً حتى يهرب كل من يطمع في الولوج إلى ضعفه.

ثالثاً: آليات الدفاع النفسية السائدة

ظهرت في أحاديثه ومواقفه واستخدامه لآليات دفاع نفسية مثل السخرية من الآخرين والحط من قيمتهم لكي يبدو هو البطل الأوحده، والإنكار للواقع لكي يتمكن من أن يخلق واقعا ذاتيا وهميا يسعد به، والإسقاط

وحيث انكشف عنه غطاء السلطة وغطاء الحماية الخارجية فرهاباً بشكل مهين.

ثانياً: البنية الشخصية العامة

١- سمات وسواسية: ظهرت حين خرج للعلن في صورة الفرق في تفاصيل فلسفية أو شبه فلسفية، وثرثرة مملّة في مواقف عامة لا تحتتمل ذلك (مثل اجتماعات القمة العربية)، وكان يبدو طفلاً يتعرف على مبادئ الأشياء، وكأنه حين يشرح بتفاصيل كثيرة يريد أن يفهم القضية قبل أن ينقلها لغيره. والوسواسى عنيد ومستبد برأيه، ولديه حساسية للنقد، وتبرير دائم للذات، ورؤية ضيقة في حدود ذاته، والحاجة للسيطرة على كل التفاصيل، واعتبار الآخرين همجيين وفوضويين وغالباً غير منضبطين، وهو يبدو خجولاً مهذباً على السطح، ولكن يحمل بداخله شراسة وعدوانية بلا حدود، وليس لديه قدرة على الاعتراف بالخطأ فهو دائماً على صواب، وتفكيره يميل إلى الثنائية المختزلة (أبيض/أسود، نحن/هم).

٢- سمات فرجسية: ممثلة في شعوره بالتفرد والحكمة، والتمركز حول ذاته التي كانت محدودة للغاية، ولكنها انتفخت بالسلطة المبكرة وبالعيش في بيت سلطوى يشعره كل من حوله بالأهمية والجدارة رغم هشاشته الداخلية، تلك الهشاشة التي كان يحتاج لمواقف دفاعية عنيفة يخفي بها هشاشته ويؤكد من خلالها قدرته على القهر والتسلط ربما أكثر من أبيه، وليرهب كل من يكتشف تلك الهشاشة ويحاول أن يكسرها، وهو لا يتحمل المعارضة أو النقص لأن ذلك يكشف الضعف والهشاشة والقابلية

للحياة الواقعية وسط الشعب السوري بل كان في قوقعة محكمة باحتياطات أمنية، ويرى العالم من منظور سلطوى استعلائى مغترب، ويعيش واقعا مصنوعاً لا يسمح له برؤية الحياة على طبيعتها والبشر العاديين بمزاياهم وعيوبهم. ولم يكن يحظى باهتمام كبير في الأسرة، بل كان مختفياً وراء أخيه الأكبر «باسل» الذي كان والده يعده ليخلفه في السلطة، ولكن شاءت الأقدار أن يموت فجأة، ولا يصبح أمام أبيه - وهو يريد أن يورث السلطة - غير النظر إلى بشار كوريث له، وكان وقتها طبيب عيون صغير السن فقام والده بتغيير الدستور ليناسب سنه، ولم يكن بشار منتبهاً أو متطلعا لهذا المنصب ربما بسبب سمات شخصيته الخجولة الوسواسية المدققة والغارقة في التفاصيل، ولقد ناسبت هذه السمات التخصص الطبي الذي درسه، ومع ذلك وجد نفسه مرغماً بأمر من أبيه أن يتبوأ منصب لم يعد نفسه له ولا يتناسب مع سماته الشخصية وتكوينه الهش، ولم تكن هناك فرصة كافية للتدرج الطبيعى في بناء الهوية القيادية. إذن كان السياق ينتج غالباً: هوية مفروضة لا مختارة، وقلقا وجوديا حول الشرعية والجدارة والكفاءة، واعتماداً مفرطاً على السلطة كدعامة وحيدة للذات، وهذا يفسر لنا لماذا كان شديد القسوة والقهر والاستبداد والعناد، وحين لم يتمكن من تحقيق ذلك في الوقت الذي اهتز فيه عرشه لجأ إلى الأب الإيراني يحتمى به، ثم إلى الأب الروسى يخيف به أعداءه، وسمح للأخ الأكبر المفقود ممثلاً في هذه الظروف في حسن نصر الله وحزب الله للدفاع عنه،

شخصية متعطرسة .. يسخر من قياداته ويتهم عليهم



يبدو خجولا مهذبا على السطح ولكن يحمل بداخله شراسة وعدوانية بلا حدود



وقع في إدمان السلطة كأى دكتاتور مستبد .. وذاق حلاوتها بعد أن كان رافضا لها أو عازفا عنها

بمعنى أن ينزع عن نفسه كل النقائص والعيوب ويرميها على غيره لئى يسخر منها ويحتقرها وهو مرتاح البال ويضحك ملء فمه، والعقلنة بمعنى الدخول فى أفكار شبه فلسفية شديدة الجفاف والاعتراب ومفرقة فى التفاصيل الباهتة المملة، والانفصال العاطفى بعيدا عن الناس وعن الأحداث المأساوية فهو لا يتعاطف مع ضحاياه ولا يشعر بالامهم ولا يندم على إيذائهم بل ينظر إليهم على أنهم عبيد مارقون ولا يستحقون غير ذلك فيسحقهم بكل الأسلحة الفتاكة ويلقى بهم فى السجون تحت وطأة أشد أنواع التعذيب والقتل (كان يفرم الجثث فى سجن صيدنايا بعد سجن أصحابها لسنوات فى زنازين كالقبور تحت أشد أنواع التعذيب)، وقد وصل إلى حالة من السادية تسمح له بالاستمتاع بالقسوة والقهر والقتل بل ويسخر ممن وقع عليهم ذلك، ويضحك من قلبه وهو يتجول بين الأنقاض والخراب الذى صنعه، ويتهم السوريين بأنهم من فعلوا بأنفسهم ذلك، ولذلك يشعر بالقرم منهم ومن سوريا كما عبر هو بنفسه.

قراءة نفسية للتسريبات:

بعد هذا الاستعراض للنشأة والتركيبية النفسية والسمات الشخصية نعود لقراءة لقطات التسريبات التى أذاعتها قناة العربية على مراحل لأحاديثه مع مستشارته (أو عشيقته أو صديقتة أو أمه المعنوية أو كل هذا إن شئت)، التى تأتى أهميتها من قدرة «لونا» على تشجيعه للتعبير عن ذاته الحقيقية فى أجواء حميمية متقبلة ومشجعة وداعمة ومطمئنة فنلجم:

١ - اللغة الساخرة المتهكمة من الأماكن والأشخاص والأحداث: وهى تشير إلى الإنهاك النفسى، والشعور بالدونية (يغطيه بالاستعلاء اللاهى غير المسئول)، والعدوانية المكبوتة (لعمته) على الغوطة مع أنها جزء من الوطن الذى يحكمه، وهو الذى حولها إلى خراب وهجر أهلها)، ومحاولة لتفريغ داخلى لمشاعر متضاربة فى أجواء تبدو مرحلة وساخرة من كل شيء.

٢ - السخرية من صورته: حين أعلن أنه لا يرى صورته المنتشرة فى البلاد بعينه ولا يدرها بعقله، وقد يعكس هذا انقسام الأنا، فموقعه كرئيس مستبد باطش لا يتناسب مع حقيقته المنطوية الهشة الضعيفة الموسوسة، ويتبع ذلك كراهية الذات المقنعة التى دفعته إليها الظروف ورغبة الأب فى استمرار دكتاتوريته وخلوده، ويعكس أيضا فقدان أو رفض المعنى الرمزى للسلطة.

٣ - الألفة غير الرسمية: فقد كانت مستشارته (أو المفترض أنها كذلك) تكسر حواجز الوظيفة وتأخذ الحوار إلى مساحات وجدانية حميمية غير متوقعة فى الحديث إلى رئيس جمهورية طاغية دموى مستبد، وهو يستجيب لذلك ويتحدث بتلقائية طفولية سمجة وغير بريئة، وهذا

يشغله الذى ورطه فيه أبوه لتحقيق حلمه فى الخلود السلطوى الذى خطفه منه الموت الحتمى، وفى هذه الحالة يصبح أى تهديد لهذا الإدمان يقابل بالإنكار (كأى مدمن)، واعتبار من يهدده إنما هو خائن يهدد سلامة الوطن وبالتالي يستحق أقصى درجات العقاب والتعذيب والقتل، فالزعيم المستبد يتوحد مع الوطن، بل ربما يرى هو أن الوطن توحد معه وأخذ قيمته منه، ولهذا يبلغ فى القسوة والقهر مع مناوئيه أقصى حد للحفاظ على الوطن أو بالأحرى للحفاظ على ذاته المنتفخة الهشة.

● ونخلص فى النهاية أننا أمام شخصية مأزومة، وحاكم غير كفاء محكوم بالخوف أكثر من القوة، وإنسان محاصر داخل صورة صنعت له وهو لا يحبها، ولكنه مع ذلك أصبح مدمنا لها ولم يعد قادرا على مغادرتها، وفى النهاية تدفع الشعوب ثمنا فادحا أمام تشوهات شخصية من يقودها، وربما تثور عليه وتخلعه فى ظروف ما، ولكنها للأسف قد تضع نفسها تحت أنياب دكتاتور آخر بوعى أو بغير وعى يسومها أشد العذاب، وكأن الشعوب العربية (دون سائر الشعوب) لديها رغبة خفية تجعلها تعيش فى دورات استبدادية بلا نهاية تصنعها بنفسها أو تشجع على صناعتها، وكأنه نوع من إدمان العبودية المختارة.

يعكس احتياجا عاطفيا لم يشبع أدى إلى ذوبان الحدود المهنية، والبحث عن شاهد داخلى يخفف عزلته الشخصية وتناقضات ظاهره عن باطنه، والتورط فى تصريحات تهز صورته وتحطم كيانه كرئيس للدولة ومسئول عن كل شيء فيها، وتلقى بشبهات قوية عن طبيعة علاقته بها التى تأخذ العقول إلى أبعد احتمالات العلاقات المشينة لشخص فى هذا المنصب.

٤ - الصراع الداخلى المركزى: صراع بين بشار الفرد الطيب الهش المنطوى، وبشار الرئيس القائد الصورة، وهو صراع غير محسوم يؤدى إلى تشوه أخلاقى، وتبرير العنف المفرط، وفقدان التعاطف مع الضحايا، والشعور بالقرم ليس من ذاته التى صنعت كل المأسى والخراب ولكن من سوريا الوطن والناس، وبالتالي التوجه نحوهم بالتعذيب والقتل والسخرية والاحتقار.

٥ - السلطة كإدمان نفسى: من متابعة حياة أصحاب السلطة الدكتاتورية المستبدة نصل إلى أن السلطة المطلقة بلا حدود هى نوع من الإدمان الشديد غير القابل للشفاء، وهى هنا بالنسبة لبشار كانت عبارة عن مخدر نفسى لصراعاته وانشغاقاته، وهى منظم للقلق لديه، وتعويض عن هشاشته الداخلية وعدم جدارته للمنصب الذى